٣ - فصل

الإمام أحمد ومناقبه رضى الله تعالى عنه[١]

[٢١٦] مات سنة مائتين وإحدى وأربعين وحرر من حضر فى جنازته فكانوا ثمانمائة ألف ، ومن النساء ستين ألفا وأسلم يوم موته رضي الله عنه عشرون ألفا من اليهود والنصارى والمجوس انتهى .

[٢١٧] **وقال الإمام النووى فى تهذيب الأسماء واللغات** : إن المتوكل أمر أن يقاس الموضع الذى وقف الناس فيه للصلاة على الإمام أحمد فبلغ مقام ألفى ألف وخمسمائة ، وقد حزن عليه رضى الله تعالى عنه المسلمون واليهود والنصارى والمجوس.

[٢١٨] **وقال محمد بن خزيمة** : لما بلغنى موت الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه اغتممت غما شديدا ، فرأيته فى المنام وهو يتبختر فى مشيته فقلت : يا أبا عبد الله ما هذه المشية ؟ فقال مشية الخدام فى دار السلام . فقلت ما فعل الله بك ؟ قال: غفر لى وتوجنى وألبسنى نعلين من ذهب ، وقال : يا أحمد هذا بقولك القرآن كلامى غير مخلوق . ثم قال الله تعالى: يا أحمد ادعنى بتلك الدعوات التى بلغتك عن سفيان التى كنت تدعو بهن

---

(١) أحمد بن محمد بن حنبل ، أبو عبد الله الشيبانى : إمام أهل السنة ، وأحد الأئمة الأربعة . نشأ منكبا على طلب العلم وسافر فى سبيله أسفارا كثيرة . قال الشافعى : أحمد إمام فى ثمان خصال : إمام فى الحديث ، إمام فى الفقه ، إمام فى اللغة ، إمام فى القرآن ، إمام فى الفقر ، إمام فى الزهد ، إمام فى الورع ، إمام فى اللغة. ت[٢٤١هـ=٨٨٥م] .انظر : طبقات الحنابلة لابن أبى يعلى (١/٤) ، البداية والنهاية(١٠/٣٢٥) .

فى دار الدنيا فقلت : يا رب أسألك بقدرتك على كل شىء أن لا تسألنى عن شىء واغفر لى كل شىء ، فقال جل وعلا : يا أحمد هذه الجنة فادخل فيها .

[٢١٩] وأنشد بعضهم فى تاريخ موت الأئمة الأربعة ومولدهم : الإمام أبى حنيفة ، والإمام مالك ، والإمام الشافعى ، والإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنهم أجمعين

تاريخ نعمان يكن سيف سطا ... ومالك فى قطع جوف ضبطا
والشافعى صين ببرند ... وأحمد بسبق أمر جعد
فخذ على ترتيب نظم الشعر ... ميلادهم فموتهم فالعمر

[٢٢٠] وكذا فى تاريخ الأئمة الخمسة المحدثين : الإمام الترمذى[١] ، وأبو داود[٢]، والإمام مسلم[٣] ، والنسائى[٤] ، والإمام البخارى[٥] ، وقد جمع ذلك بعضهم فى بيت واحد فقال :

---

(١) محمد بن عيسى بن سورة ، أبو عيسى الترمذى : من أئمة الحديث وحفاظه ، تتلمذ للبخارى وشاركه فى بعض شيوخه ، له الجامع الكبير . ت[٢٧٩هـ] .

(٢) سليمان بن الأشعث ، أبو داود السجستانى : من أئمة الحديث ، جال كثيرا فى طلب العلم ، واستقر فى البصرة ، له كتاب "السنن" من الكتب الستة . ت[٢٧٥هـ] .

(٣) مسلم بن الحجاج بن مسلم ، أبو الحسن : إمام الحديث ، صاحب الجامع الصحيح المعروف ؛ بصحيح مسلم الحافظ ت[٢٦١هـ] .

(٤) أحمد بن على ، النسائى : الحافظ ، الإمام ، صاحب السنن الكبرى . له اليد الطولى فى علم الرجال . ت[٣٠٣هـ] .

(٥) محمد بن إسماعيل ، أبو عبد الله البخارى : إمام علم الحديث ، صاحب أصح كتاب بعد كتاب الله . كان كثير الترحال طلبا لحديث رسول الله . ت[٢٥٦هـ] .

إذا رمت الحديث فلذ بخمس ... تكن مثل المشافه فى الحياة
تعطر درعه مارص نسج ... بنور للمحدث للوفاة

بيان ذلك أن التاء إشارة للترمذى ، والدال إشارة لأبى داود ، والميم إشارة للإمام مسلم ، والنون للنسائى ، والباء للبخارى والله أعلم .

[٢٢١] **ويحكى أنه** : أتى برجل مدنى سكران إلى بعض الولاة فأمر بإقامة الحد عليه وكان الرجل طويلا والجلاد قصيرا فلم يتمكن من ضربه فقال الجلاد : للمدنى تقاصر لينالك الضرب . فقال : ويلك إلى أكل الفالوذج[1] تدعونى والله لوددت أن أكون أطول من عوج بن عنق وأنت أقصر من يأجوج ومأجوج فاستظرفه الأمير وخلى سبيله ، انتهى من حلبة الكميت .

[٢٢٢] **ومن قول ابن المعتز**[2] :

وجاءنى فى قميص الليل مستترا ... يستعجل الخطو من خوف ومن حذر
ولاح ضوء صباح كاد يفضحنا ... مثل القلامة قد قدت من الظفر
وكان ما كان مما لست أذكره ... فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

[٢٢٣] **ولبعضهم عفا الله عنه** :

جرى دمعى من الحال الذى بى ... كحرى الماء فى أول أيب

---

(١) الفالوذج : من أنواع الحلوى .

(٢) عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم : الشاعر المبدع ، خليفة يوم وليلة . كان يقصد فصحاء العرب ويأخذ عنهم ت[٢٩٦هـ=٩٠٩م] . انظر : وفيات الأعيان (١/٢٨٥) .

ومـــع هـــذا فـــلا أقطـــع رجائى لأن اللـــه ألطـــف مـــن أبـــى بى

[٢٢٤] ومن كلام الشافعى رضي الله عنه:

لم يدر طعم الفقر من هو فى غنى ومصحح الأعضاء ليس كمبتلى
كـــم فاقـــة مســـتورة بمـــروأة وضـــرورة قـــد غطيـــت بتجمـــل
وتبسم مـن تحتـه قلـب شـجى قـد صادفتـه غمـة لا تنجلـى
والنـاس جمعـا عنـد كـل كفـؤه والهـم مفـترق ومـا أحـد خلـى
لو سـود الهـم الملابـس لـم تجـد بيض الثياب على امرئ فى محفـل
وإذا أراد المـــرء يجلـــو همـــه عـــن نفســه مـن نفسه لا ينجلى

[٢٢٥] ومن كلام العارف بالله تعالى الشيخ عبد الرحيم البرعى رحمه الله تعالى فى أرض اليمن :

ريـاض نجـــد بكـــم جنـــان فضيـــة نورهـــا حســـان
وتـــرب واديكمـــو بنجـــد مســـك وحصباؤهـــا جمـــان
والـروض مـــن شـعبكم عبـير والزهـــر ورد وزعفـــران
والجـــار فـــى ربعكـــم عزيـــز والحـــر فـــى أرضكـــم يصـــان
فكـــم ســـفكتم دمـــى ودمعـــى أمـــا علـــى القـــاتل الضمـــان
ورمـت أخفـى الهـوى ودمعـى مـن شـدة الوجـد ترجمـان
يـــالائمون اقصـــروا ملامـــى رفقـــا بمـــن قلبـــه مـــلان
لا تذكـــروا الظـــاعنين عنـــدى فلـــى وللظـــاعنين شـــان
قـــالوا هواهـــم عليـــك حتـــم فقلـــت عهـــد الهـــوى يصـــان
قـــالوا فكـــم تكتـــم النصـــابى قلـــت المعنـــى بهـــم معـــان
قـــالوا فقـــد فـــارقوك ربعـــا قلـت هـم النـاس حيـث كـانوا

قالوا فدعهم فقلت كلا ... لعل دهرا قسا يلان
ليت الصبا الحاجرى ينبى ... عن حيرة البان يوم بانوا
هل عهدهم عهدهم بنجد ... باق أم استؤمنوا فخانوا
يا محسنا بالزمان ظنا ... هل تدر ما يفعل الزمان
لا تتبع النفس فى هواها ... إن اتباع الهوى هوان
وآحملتى من عتاب ربى ... إن قيل أسرفت يا فلان
إلى متى أنت فى الملاهى ... تسمر مرخى لك العنان
لو خوفتك الجحيم بطشى ... لشوقت قلبك الحنان
عندى لك الصفح وهو برى ... وعندك السيف والسنان
ما تستحى كاتبا كريما ... يحصى به الفعل واللسان
وتستحى شيبة تراها ... فى النار مسحوبة تهان
أنت شجاع على المعاصى ... وأنت عن طاعتى جبان
لم ينهك الشيب عن حدودى ... ولا رسولى ولا القران
ترضى بأن تنقضى الليالى ... وما انقضى حربك العوان
أى أوان تتوب فيه ... هل بعد قطع الرجا أوان
آثرت غيرى على لكن ... كما يدين الفتى يدان
يا سيدى هذه عيوبى ... وأنت فى الخطب مستعان
يا من له فى العصاة شان ... البر والعطف والحنان
يا من ملا بره النواحى ... لم يخل من بره مكان
عفوا فإنى رهين ذنب ... حاشاك أن يغلق الرهان
فاغفر لعبد الرحيم والطف ... بخائف ما له أمان
وسامح الكل من ذنوب ... غدا بها يشهد البنان
وصل يا ذا العلا وسلم ... على من أخلاقه حسان

وهذه قصيدة الإمام الولى العارف بالله تعالى أبى محمد بن أبى عمران اليشكرى نفعنا الله به

[٢٢٦] قال العلامة بدر الدين بن فرحون[1] : -أحد أصحاب ناظمها- إن بعض الصالحين رأى النبى ﷺ فى المنام قال البدر: وأشك هل كان هو الشيخ أو غيره ، وأنشد هذه القصيدة ؛ فلما بلغ آخرها قال النبى ﷺ : رضيناها رضيناها وهى هذه :

دار الحبيب أحق أن تهواها ... ونحن من طرب إلى ذكراها
وعلى الجفون إذا هممت بزروة ... يا ابن الكرام عليك أن تغشاها
فلانت أنت إذا حللت بطيبة ... وظللت ترتع فى ظلال رباها
مغنى الجمال من الخواطر والتى ... سلبت قلوب العاشقين حلاها
لا تحسب المسك الذكى كتربها ... هيهات أين المسك من رياها
طابت فإن تبغى لطيب يا فتى ... فادم على الساعات لثم ثراها
وابشر ففى الخبر الصحيح تقررا ... إن الإله بطيبة سماها
واختصها بالطيبين لطيبها ... واختارها ودعا إلى سكناها
لا كالمدينة منزل وكفى بها ... شرفا حلول محمد بفناها
خصت بهجرة خير من وطىء الثرى ... وأجلهم قدرا وأعظم جاها
كل البلاد إذا ذكرن كأحرف ... فى اسم المدينة لا خلا معناها
حاشا مسمى القدس فهى قريبة ... منها ومكة إنها إياها
لا فرق إلا أن ثم لطيفة ... مهما بدت يجلو الظلام سناها

---

(١) إبراهيم بن على بن محمد بن فرحون : فقيه مالكى ، ومؤرخ ، من أهم تصانيفه الديباج المذهب . انظر : نيل الإبتهاج ص ٣٠ .

جزم الجميع بأن خير الأرض ما ... قد حاز ذات المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت ... كالنفس حين زكت زكى مأواها
وبهذه ظهرت مزية طيبة ... فغدت وكل الفضل فى معناها
حتى لقد خصت بهجرة حبه ... الله شرقها به وحباها
ما بين قبر للنبى ومنبر ... حبا الإله رسوله وسقاها
هذى محاسنها فهل من عاشق ... كلف شجى ناحل بنواها
إنى لأرهب من توقع بينها ... فيظل قلبى موجعا أوّاها
ولقلما أبصرت حال مودع ... إلارثت نفسى له وشجاها
فلكم أراكم قافلين جماعة ... فى أثر أخرى طالبين سواها
قسما لقد أكسى فؤادى بينكم ... جزعا وفجر مقلتى مياها
إن كان يزعجكم طلاب فضيلة ... فالخير أجمعه لدى مثواها
أو خفتمو ضرا بها فتأملوا ... بركات بقعتها فما أزكاها
أف لمن يغشى الكثير لشهوة ... ورفاهة لمْ يدر ما عقباها
فألعيش ما يكفى وليس هو الذى ... يطغى النفوس إلى خسيس مناها
يا رب أسأل منك فضل قناعة ... يسيرها وتحصنا بحماها
ورضاك عنى دائما ولزومها ... حتى توافى مهجتى أخراها
فأنا الذى أعطيت نفسى سؤلها ... فقبلت دعواها فيا بشراها
بحوار أوفى العالمين بذمة ... وأعز من بالقرب منه يباهى
من جاء بالآيات والنور الذى ... داوى القلوب من العمى فشفاها
أولى الأنام بخطة الشرف التى ... تدعى الوسيلة خير من يعطاها
إنسان عين الكون سر وجوده ... يس أكسير المحامد طاها
حسبى فلست أفى ببعض صفاته ... لو أن لى عدد الورى أفواها
كثرت محاسنه فأعجز حصرها ... فغدت وما نلقى لها أشباها

إنـى اهتديـت مـن الكتـاب بآيـة ... فعلمـت أن عـلاه ليـس يضـاهى
ورأيـت فضـل العـالمين محـددا ... وفضـائل المختـار لا تتنـاهى
كيف السبيل إلى تقصـى مـدح مـن ... قـال الإلـه لـه وحسبك جاهـا
إن الذيـن يبـايعونك إنمـا ... هـم مـن يقـال يبـايعون اللـه
هـذا الفخـار فهـل سـمعت بمثلـه ... واهـا لنشـأتها الكريمـة واهـا
صلـوا عليـه وسـلموا فبذلكـم ... تهـدى النفـوس لرشـدها وغناهـا
صلـى عليـه اللـه غـير مقيـد ... وعليـه مـن بركاتـه أنماهـا
وعلى الأكابر آله سـرج الهـدى ... أكـرم بعترتـه ومـن والاهـا
وكـذا السـلام عليـه ثـم عليهـم ... وعلـى صحابتـه التـى زكاهـا
أعنى الكرام أولى النهى أصحابـه ... فئـة التقـى ومـن اهتـدى بهداهـا
والحمـد للـه الكريـم وهـذه ... نجـزت وظنـى أنـه يرضاهـا

وهذا آخرها والحمد لله وحده

[٢٢٧] ولبعضهم شعر :

للـه فـى ملكـه خـاتم ... تجـرى المقـادير علـى نقشـه
لا تنبشـن الشـر تبلـى بـه ... واحذر على نفسك مـن نبشـه
مصـارع الدهـر لهـا سـطوة ... تـنزل السـلطان عـن عرشـه
إذا طغـى الكبـش بلحـم الكـلا ... أدرج رأس الكبـش فـى كرشـه
إذا بغـى المـرء على جنسـه ... لابـد أن ينكـب فـى فرشـه

[٢٢٨] **قوله ﷺ : «أنت ومالك لأبيك»** ذكر العلامة الشمس العلقمى فى حاشيته على الجامع الصغيرة عن جابر قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله إن أبى أخذ مالى فقال النبى ﷺ للرجل اذهب فأتنى بأبيك فنزل جبريل على النبى ﷺ فقال : إن الله عز وجل

يقرئك السلام ويقول لك : إذا جاء الشيخ فاسأله عن شيء قاله فى نفسه ما سمعته أذناه . فلما جاء الشيخ قال له النبى ﷺ : ما بال ابنك يشكوك أتريد أن تأخذ ماله ؟ فقال : يا رسول الله هل أنفقه إلا على إحدى عماته أو خالاته أو على نفسى . فقال عليه الصلاة والسلام : أيها الشيخ دعنا من هذا أخبرنى عن شيء قلته فى نفسك ما سمعته أذناك فقال الشيخ : والله يا رسول الله ما يزال الله عز وجل يزيدنا بك يقينا ، لقد قلت فى نفسى شيئا ما سمعته أذناى فقال له قل فأنا أسمع فقال :

عذيتك مولودا وعلتك يافعا ... تعل بما أسدى إليك وتنهل
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت ... لسقمك إلا ساهرا أتململ
كأنى أنا المطروق دونك بالذى ... طرقت به دونى وعيناى تهمل
تخاف الردى نفسى عليك وإنها ... لتعلم أن الموت شيء مسحل
فلما بلغت السن والغاية التى ... لها مدة قد كنت فيك أؤمل
جعلت جزائى غلظة وفظاظة ... كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك إذ لم ترع حق أبوتى ... فعلت كما الجار المجاور يفعل

قال : فحينئذ أخذ رسول الله ﷺ بجلباب ابنه وقال له : أنت ومالك لأبيك، انتهى .

[٢٢٩] وحكى الأصمعى قال : خرجت فى طلب الأعاجيب من الأحاديث فلاحت لى بلدة بيضاء كأنها الغمامة فدخلتها فإذا هى خراب وليس فيها ديار ولا أنيس ، فبينما أنا أدور فى نواحيها إذ سمعت كلاما فطار قلبى فأنصت فإذا به كلام موحش فسللت سيفى ودخلت ذلك المكان فإذا أنا برجل جالس وبين يديه صنم وفى يديه قضيب وهو يبكى وينكت به الأرض ويقول :

أما و مسيح الله لو كنت عاشقا لمت كما ماتت وما ضمنى لحدى
وكم أتسلى بالحديث وبالمنى وبالعبرات السائلات على خدى
وإنى وإن لم يأتنى الموت سرعة لأمسى على جهد وأضحى على جهد

قال : فلما سمعت ذلك منه هجمت عليه ، فلم يشعر بى إلا أن قلت له السلام عليك فرفع رأسه وقال : وعليك السلام من أين أنت ومن جاء بك إلى هذا المكان؟ فقلت : الله جاء بى قال : صدقت وهو الذى أفردنى فى هذا المكان ، فقلت له : ما بالك تشير إلى هذا الصنم الذى بين يديك؟ فقال لى : إن حديثى عجيب وأمرى غريب فقلت له : حدثنى به ولا تخف منه شيئا فقال لى : اعلم إننا كنا قوما من بنى تميم وكنا على دين المسيح، وكان دعاؤنا مستجابا وكانت هذه الصنمة ابنة عمى، وكنت أنا وإياها . فلما كبرت حجبها عمى عنى فكنت أحبها سرا ؛ فبينما أنا ذات ليلة وأنا عندها إذ سمعت عمى يدق الباب فادخلتنى سردابا وقامت هى ففتحت الباب ودخل عمى فقال لها : أين عبد المسيح ؟ فقالت : إنى لم أره ، فقال لها : إنى سمعت كلامه عندك . فقالت :لم تسمع شيئا وإنما خيل لك فقال لها : والله إن لم تصدقينى وإلا دعوت عليك إن كنت كاذبة فيمسخك الله حجرا فقالت له : إذا كنت كاذبة، فرفع طرفه إلى السماء وقال : اللهم يا رب الأولين والآخرين إن كنت تعلم أن ابنتى هذه كاذبة فى قولها فامسخها حجرا فمسخها الله حجرا ولى أربعون سنة فى هذا المكان وأنا اتقوت من نبات الأرض وأشرب من هذه الأنهار وأتسلى بالنظر إلى هذه الصنمة إلى أن يحكم الله لى بالموت ثم بكى وأنشد يقول :

وحق الذى أبكى وأضحك والذى أمات وأحيا والذى خلق الخلقا
لئن قلت إن الحب قد يقتل الفتى وإن الفتى بعد التفرق لا يبقى

لقد قلت حقا واسـأل العبرة التى تسيل وسيل الدمـع منـى لا يرقا

قال الأصمعى : ثم قام ذلك الشـاب وتـوارى عنـى بجـدار مـن تلـك الجدر ونزع المسوح التى كانت عليه ولم يبق عليه إلا مـا يـوارى سـوأته ، فتأملته فإذا عيناه تدور فى أم رأسه فقلت فى نفسـى : هـذا أراد أن يطلعنـى على نحول جسده ، ثم أقبل على وهو عريان وقال لى : يا فتـى إننـى قـائل ثلاثة أبيات وكان منى ما كان فإذا أنا مت فكفنى أنا وإياها فى هـذه الجبة وادفنا فى هذه الجون وضمنا بالتراب ، واكتب على قبرنا هذه الأبيات :

مـن لـم يكـن يحسـب أن الهـوى يقتـل فلينظـر إلـى مضجعـى
لـم يبـق لـى حـول ولاقـوة الإخيـال الشـمس فـى موضعـى
أشـكو الـى الرحمـن جهد البلا إشـارة بـالطرف والأصبـع

قال الأصمعى : هذا وأنا أنظر إليه وأسمع شـعره وأتعجب منه ومن أمر الصنمة، وإذا به وقع على الأرض مستلقيا على قفاه وشهق شهقة فارقت روحه جسـده . قـال الأصمعى : فكفنتهمـا ودفنتهمـا فـى ذلـك الجـون ، وكتبت على قبرهما تلك الأبيات وتركتهما وانصرفت وأنـا متعجب غاية العجب ، انتهى .

[٢٣٠] و [قيل] : لما عزم أحمـد بـن طولـون[1] علـى بنـاء الجـامع المعروف به فى مصر القاهرة أنفق عليه مائة ألف دينار ، ورتب فيه للعلماء، والقـراء ، وأربـاب الشـعائر، والبيـوت فـى كـل شـهر عشـرة آلاف دينـار

(١) أحمد بن طولون : مؤسس الدولة الطولونية فى مصر والشام مستقلة عن الدولة العباسية [٢٥٤هـ:٢٩٢هـ] .

وللصدقة فى كل يوم مائة دينار ، وكان مشتملا على خصال حميدة منها : أن فقيرا كان بجواره وله امرأة وبنت وكانا يغزلان الصوف للسوق لتجهيز البنت ، وكانت البنت لم تفارق البيت وما نظرت إلى السوق قط ولا خرجت فسألت أمها وأباها أن تخرج معهما إلى السوق فواعداها بذلك . فلما قصدا بيع الغزل خرجت معهما إلى السوق فمروا بباب الأمير المسمى بالفيل وتمادى الأب والأم وتركاها ولم يشعرا بوقوفها ، فبقيت البنت حائرة لا تدرى أين تذهب وكانت ذات جمال عظيم فخرج الأمير المسمى بالفيل . فلما رآها افتتن بها فمسكها ودخل بها ، ثم أمر الحوارى أن يغسلنها وينظفنها ويلبسنها أحسن الملبوس ويطيبنها بأنواع الطيب ويحلينها له ففعلن ذلك فدخل عليها وأزال بكارتها . هذا ووالداها قد حزنا عليها ولم يزالا يطوفان عليها جميع الأماكن ، فلم يقعا لها على خبر فلم يزالا يبكيان . فلما جن الليل وإذا بشخص يطرق الباب فخرج أبوها وفتح الباب فقال الرجل لأبيها : إن الأمير المسمى بالفيل أخذ ابنتك وأزال بكارتها ، فلما سمع ذلك كاد يجن وكان لأحمد بن طولون مؤذن وكان قد عاهده على أنه إذا حدثت فاحشة من الفواحش يؤذن فى غير الوقت ليحضره ويستفهم منه الواقعة ، وكان المؤذن بينه وبين أبى البنت صداقة ، فجاء إليه وأخبره بخبره فصعد وأذن فسمعه أحمد بن طولون فأرسل خلفه فأخبره بالقضية فاستدعى بأبوى البنت وخبأهما فى خزانة وكان وقت مجىء الفيل للخدمة . فلما دخل على عادته قال له : نهنيك بالعروس الجديدة فقال له : ومن أين لى عروس جديدة ؟ قال : أتنكر منى وهذا أبو الجارية وأمها وأخرجهما إليه . فلما رآهما نكس رأسه خجلا من الأمراء الحاضرين فقال له أحمد بن طولون : ارفع رأسك ثم قال لأبيها : تزوج ابنتك مملوكى هذا

على صداق قدره ألف دينار مقدمة وخمسمائة دينار مؤجلة ؟ فقال : نعم فأمر بإحضار الشهود وعقد العقد بينهما ووضعوا خطوطهم ، ثم بعد انصراف الشهود أمر السياف بضرب عنق الفيل فرماه بين يديه وقطع رأسه وقال أحمد بن طولون لأبى الجارية : ابنتك ورثت زوجها وقد مكنتها مما بقى من تركته فامضوا مع السلامة فانصرفوا شاكرين لإنعامه داعين له على أفعاله . فانظر إلى هذا العدل العظيم والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم

[٢٣١] ومما نقل عن بعضهم :

تـوق رعـاك الله تسـعا مـن البشـر ... فصحبتهم تفضى إلى البؤس والضـرر
وهم أحول مـع أعـرج ثـم أحـدب ... كذا كسوج يتلو نشاطا مع الكـدر
وإيـاك والأنـف الطويـل وأصفـرا ... فإنهمـا بيـت الخيانـة والخطـر
كذا غائر الصدغين خـارج جبهـة ... كـذا أزرق العينيْن فـالحذر الحـذر
توقـاهمو تحيـا سليما من الردى ... وباعـدهمو يـاذا الفراسـة والنظر

[٢٣٢] مناظرة بين إبليس اللعين وبين الملائكة المقربين :

بعد الأمر بالسجود والامتناع منه لمحض العناد والجحود قال لما نقل عنه فيما ذكر أنه قال للملائكة : أى البارى تعالى إلهى وإلـه الخلـق قـادر عـالم إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكـون إلا أن يتوجـه علـى مسـاق حكمـه أسـئلة فقالت الملائكة : ما هى ؟ قال سبع . الأول: قد علم قبـل خلقـى مـا يصـدر عنى ويحصل منى فلم خلقنى وما الحكمة فى خلقه إياى . الثانى : أنه خلقنى على مقتضى مشيته وإرادتـه فلـم كلفنـى بمعرفتـه وإطاعتـه بعـد أن لا ينتفـع

بطاعة ولا بتضرر بمعصية فإنه الغنى القادر على الإطلاق . الثالث: إنه خلقنى وكلفنى فالتزمت تكليفه وأطعته فلم أمرنى بالسجود لأدم وأنا خير منه لأنى من نار السموم وهو أعلى منزلة من الطين . الرابع : أنه خلقنى وأمرنى بالسجود فالتزمت تكاليفه فلم قضى على بالشقاء وحكم على بالبقاء . الخامس : قد أمرنى بالسجود لأدم وهو مخلوق مثلى خرج من الجنة كما خرجت فاستنكفت أن أسجد لمن هو مثلى . السادس : ليس فى أزقة السماء وجها مخل الأولى فيه ركعات وسجدات يشهد بها . السابعة : كيف يأمرنى بالسجود لبشر خلقه وأنا أفضل منه لأنه خلقنى من نار السموم وهى أنفع وأشرف من الطين لكثرة نفعها . أهـ .

ذلك بحروفه وا لله أعلم فسبحان من حكم بالشقاء على من يشاء من عبادة وا لله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم والحمد لله رب العالمين .

كمل الكتاب تكاملت جمل السرور لصاحبه وعفى الإله بفضله وجوده عن كاتبه .

تمت